

الهوية الاجتماعية للمعلم الجزائري وعلاقتها بالتدريس الفعال *دراسة ميدانية على عينة من أولياء التلاميذ والمعلمين في المدرسة الابتدائية جبار مصباح بعين البيضاء ولاية أم البواقي *

أ.مرابطي كريمة -قسم علم الاجتماع - جامعة الجزائر 2

1-الإشكالية: يفرض المجتمع علينا بقوة أفكارا وقيما وثقافة محددة نجد أنفسنا أمام تنبيهها لا محالة سواء مرغمين أو مخيرين، من هنا تتأكد شيئية وقهرية الظواهر كما يقول "ايميل دوركايم «فانني عندما اؤدي واجباتي كأخ أو كزوج أو كمواطن، وحين أنجز العهود التي أبرمتها أقوم بآداء واجبات خارجية حددها "العرف" و"القانون".. وعلى الرغم من أنني أشعر بحقيقتها شعورا داخليا، فإنّ هذه الحقيقة تظل خارجة عن شعوري بها وذلك لأنني لست أنا الذي ألزمت نفسي بها ولكني تلقيتها عن طريق التربية، ومن جهة أخرى فإنّه يتفق لنا في كثير من الأحيان، أن نجهل تفاصيل الواجبات التي تلزم بآدائها، ومن ثم فاننا نضطر إلى الرجوع إلى كتب القانون وإلى النقات من مفسريه لكي نقف على حقيقة هذه الواجبات، وكذلك الأمر فيما يمس العقائد والطقوس الدينية ... لها وجود خارجي بالنسبة إليه..ولا توجد هذه الضروب من السلوك والتفكير خارج شعور الفرد فقط بل أنها تمتاز أيضا بقوة آمرة قاهرة هي السبب في أنها تستطيع أن تفرض نفسها على الفرد أراد ذلك ام لم يرد .. هذا القهر يؤكد وجوده بقوة متى حاولت مقابلته بالمقاومة فاذا خرجت على العادات المرعية ولم أقم وزنا للعرف المتبع في وطنيو في طبقتي بخصوص، الزي مثلا : فإن ما أثّره من عاطفة السخرية وما ابعثه حولي من الاشمئزاز ينتجان ولو بصورة مخففة نفس النتيجة التي يؤدي إليها العقاب الحقيقي «1ونجد أنّ هذه الصفة القهرية للثقافة تنقل وتحافظ على مكانتها من خلال الأفراد أنفسهم وذلك بإنتاجهم وإعادة إنتاجهم لها عن طريق التنشئة الاجتماعية، ذلك من خلال الأفكار وما خلفته من ترسبات لتشكل في النهاية " مبدأ أو مسلمة " تعد بمثابة راس مال ثقافي جماعي يرجع إليه الفرد أو الجماعة والمجتمع لتفسير أو إثبات أو رفض فعل معين... وبالتالي فالعقلية التي تحكم المجتمع هي عبارة عن ثقافة فرضت نفسها بطريقة معينة وقد فرضت هذه

¹ايميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع ، ترجمة: بوزيدة عبد الرحمان، الجزائر: موقع للنشر، سلسلة العلوم الانسانية، 1990، ص (40-41) .

الثقافة دورا تقليديا للمرأة يصعب التخلص منه .يقول الدكتور "محمود عبد الرشيد بدوان" في كتابه "علم اجتماع ودراسات المرأة" أن هناك فجوات وتناقضات تتعكس على واقع مجتمعنا.. من بينها الفروقات الناتجة عن القوانين التشريعية (الدينية. القانون الوضعي. العرف) وبينها الممارسات الواقعية (بتفريقاتها الفئوية الطبقية والجغرافية) لا بد أن نأخذ هذه الفروقات بعين الاعتبار...2 ونجد مهنة " التدريس" التي كفلها المجتمع والدولة للمعلم تتمايز قيمتها ودورها من جيل لآخر حسب التغيرات التي تحدث في النسق العام في كل واحد منهما.. وحتى لا ندخل في تفاصيل تاريخ التعليم في الجزائر ومن خلال القراءات المتنوعة حول هذا التاريخ وجدنا أن: "مهنة المعلم في الجزائر كانت تلعب دورا ازدواجيا يتمثل في:

الاول هو تثقيف التلميذ وتكوينه.

الثاني تربيته بمعنى يلعب دورا مكملًا لدور الوالدين داخل الاسرة.

وبالتالي فالصورة التي كانت تحملها العائلة عن المعلم تورثها عن طريق التنشئة الاجتماعية لأبنائها، فكانت عملية تعليم التلميذ وتربيته مشتركة بين المعلم والوالدين، من هنا لا يجد المعلم أية صعوبات في التعامل مع التلاميذ وتسييرهم إلا نادرا إذا ما قورن بمعلمي الوقت الحالي، وما سبق ينتج لنا هوية اجتماعية للمعلم، فما معنى "الهوية الاجتماعية" وكيف يمكن لهذه الاخيرة أن تكون فاعلة في تسيير التلاميذ بما يحمله هذا المفهوم من تفاعل مركب بين: المعلم والأولياء من أجل تدريس فعال للتلاميذ؟ وهل يمكن ان توجد عناصر أخرى داخلية في هذا التفاعل غير العنصرين السابقين؟ وللاجابة على هذا السؤال لابد من التعمق أكثر في هذا المفهوم من أجل تحليل أكثر دقة.

2- الهوية الاجتماعية: يقول د. أحمد أبوزيد في مقدمة كتابه "سيكولوجية العلاقات بين الجماعات "قضايا في الهوية الاجتماعية" الصادر عن سلسلة "عالم المعرفة" الكويتية، "نعيش اليوم موجة من الصراع والكراهية تسود بين الجماعات والقوميات المختلفة، وتصل ببعضها أحيانا إلى حد التصريح باستخدام العنف".

2 احسان محمد الحسن، "علم اجتماع المرأة: دراسة تحليلية عن دور المرأة في المجتمع المعاصر"، الاردن: دار وائل للنشر، ط1، 2008، ص (190).

يولي علم النفس الاجتماعي اهتماما خاصا بهذا الموضوع، لعله يجيب عن أسئلة قد تفهم الجميع ما الذي يجعل مجموعة من البشر تكره مجموعة أخرى؟ قدمت الأبحاث قبل "التجريبين" مفهوما ميتافيزيقيا لـ "عقل الجماعة"، بينما انتهى "تبرنر" حديثا إلى أن الاستجابة الفردية للمواقف الاجتماعية هي التي تشكل عقل الجماعة، وإن بقي الفرد سيكولوجيا غير متأثر بسلوك الجماعة. إلا أن التفاعلية بين الفرد وجماعته هي التي أنتجت "القيم -المعايير -الأفكار النمطية وغير ذلك".

جاء "تاجفل" في عقد السبعينيات وأكد على مفهوم "تأثير التأكيد الإدراكي" وهو الذي يميز الإدراك الفيزيقي والاجتماعي، وهو ما سهل تفسير عمليتي التتميط والتعصب، وبالتالي الوظيفة الاجتماعية للتتميط مثل "التبرير" وإكساب الصورة النمطية للجماعات. ثم جاءت متغيرات بعد "تاجفل" خصوصا التسعينيات من القرن الماضي، أضافت الكثير إليه، ولا يزال البحث مستمرا في الهوية الاجتماعية. خلصت تحليلات "تاجفل" إلى أن الأفراد (عموما) يفضلون رؤية أنفسهم إيجابيين أكثر من رؤيتهم لأنفسهم سلبيين (أي أن الأفراد مدفوعين إلى تحقيق هوية اجتماعية إيجابية). ومن جهة أخرى فإن "الهوية" باعتبارها جانبا من صور الذات، وهو ما يشير إلى أن الفرد يفضل أن يرى جماعته أفضل من الجماعات الأخرى (أي تحت الأفراد على عمل مقارنات اجتماعية تحقق له التميز). كلتا العمليتين تستندان على أبعاد نفسية هي: "التوحد" و"المقارنة الاجتماعية" و"التميز السيكلوجي". فالتوحد شرط مسبق وضروري لتفضيل الجماعة، كما أن عملية المقارنة الاجتماعية بين الجماعات هامة وحتمية لأنها تحدث البعد الثالث وهو التميز السيكلوجي.

هذا التميز السيكلوجي على صورتين: الأولى "إيجابية" حيث أن الفرد يرى جماعته أفضل من الجماعات الأخرى، والثانية "سلبية" حيث أن الفرد يقلل من شأن الجماعات الأخرى، كي تبدو جماعته المفضلة. وهما معا يخلقان عملية مفهوم "الإبداع الاجتماعي". إلا أن "الهوية" الضعيفة وحدها لا تدفع الجماعة إلى التغيير (أو الحراك الاجتماعي)، لابد من توافر معرفة البدائل المعرفية (أو بعض عناصر القوة فيهم) حتى يحدث التغيير. وعندما تدرك الجماعة الضعيفة البدائل المعرفية، هناك أربعة احتمالات: الأول: قد تسعى هذه الجماعة الضعيفة إلى الاندماج والانصهار في الجماعة المسيطرة. مثل حال بعض المهاجرين من المجتمعات الضعيفة إلى المجتمعات

القوية .الثاني: إعادة تعريف الخصائص ذات التقييم السلبي للجماعة. مثل اعتبار السود والسمار في البشرة ملمح جمال مقارنة بالبشرة البيضاء. الثالث: تبني أبعاد جديدة للمقارنة. مثل السكان الأصليين لكندا يشيرون إلى ثقافتهم وتقاليدهم القديمة على أنها أفضل من واقع الحال لكندا الجديدة. الرابع: المنافسة المباشرة مع الجماعة المسيطرة، وهو ما ينتج عنه الصراع. أما عندما لا يدرك أعضاء الجماعات ذات الهوية الضعيفة بدائل الأوضاع بين الجماعات، فإنهم لن يفعلوا شيئاً من أجل تغيير موقف جماعتهم، ويلجؤون إلى استراتيجية فردية لتحسين أوضاعهم، وقد ينوون مغادرة جماعتهم الضعيفة .

وقد أشار "تاجفل" إلى أن نظرية الهوية الاجتماعية لها ثلاثة جوانب: الأول "التحليل النفسي للعمليات المعرفية، مثل الدافعية لتحقيق هوية اجتماعية ايجابية" . الثاني "التوسع في التحليل من خلال تطبيقات عملية على الجماعات الواقعية". الثالث "العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات".

وقد انتهى إلى أن الهوية الشخصية ترتكز على الخصائص الفردية (مثل السمات الشخصية)، بينما ترتكز الهوية الاجتماعية على العلاقات الاجتماعية، حيث تبرز الأولى خلال تعامل الأفراد معاً، وتبرز الثانية عندما تتفاعل الجماعات معاً (وهو ما دفع البعض إلى القول بأن تلك النظرية تفسر الكثير من أسباب الصراعات بين الجماعات أو الدول).

نظرية الهوية الاجتماعية مزيج من الدافعية والمعرفية لبناء ثلاثة أبعاد، هي: البعد الأول: تتجمع فيه البيئة الاجتماعية على هيئة فئات (فئة الرجال مقابل فئة النساء). البعد الثاني: تحدد فيه الانتماءات الاجتماعية هوية الفرد الاجتماعية كجزء من مفهوم الذات (أي يستمد الفرد تقديره لذاته من خلال هويته الاجتماعية).

البعد الثالث: تظهر فيه الهوية من خلال العلاقة مع الجماعات الأخرى. لقد أرجع "هاسلم" نجاح تلك النظرية إلى عدد من العوامل: نظرية واضحة وهو ما أثبتته الباحثون في فهم وتفسير جوانب مهمة في السلوك الاجتماعي، بينما فشل علماء النفس الاجتماعيون في تفسير السلوك الاجتماعي في سياق مبادئ فردية بحته، نجحت نظرية الهوية الاجتماعية³.

³ <http://www.thgaftna.com>

وتعتبر سوسيولوجيا المهن من أهم فروع علم الاجتماع التي تهتم بدراسة الهوية المهنية التي تعتبر من أهم محددات الهوية الاجتماعية من خلال المهن... وفي دراسة سابقة لنا تحمل عنوان: مهنة الشرطة بين الخطاب الرسمي والرأي العام أثبتنا أنّ الرأي العام يساهم حقا في بناء المهنة واستمرارها .

فالتفاعليون يرون أنّ المهنة تدرس من خلال الفروقات الداخلية المكونة لها وذلك من خلال: هويتها المهنية الشاملة وهوية قطاعاتها المهنية وهذه القطاعات هي في حالة صراع دائم فهي تحاول اما اثبات وجودها كونها مهمشة في المهنة أو تكون قلب المهنة وتصارع قطاعا آخر يود ان يحتكر حقلها المهني، لذلك يسعى كل قطاع لأن يحافظ على مكانة معينة له داخل الحقل .

وما دامت المهنة هي في تفاعل مستمر بين "الهوية المهنية" المعطاة من طرف المهنة،/ والهوية التي يعطيها كل قطاع فلا يمكن أن نقول ان مهنة ما قد اكتسبت هوية نهائية ما دام التفاعل هو عملية مستمرة يؤدي إلى تحريك /رفع/خفض/ إزالة للمهنة ولهويتها وممثل هذا التيار هو "Hughes" حيث يعتبر أن نتخلص من جميع المفاهيم أو المعلومات التي تمنع من رؤية المشاكل الرئيسية التي تواجه الافراد في مهنتهم ايا كانت ويجب ان نجد مفاهيم وآراء تسمح لنا باجراء مقارنات بين كل المهن. وهذه الأخيرة يجب ان تحلل كعمليات ذاتية معبرة وعمليات وكعلاقات ديناميكية مع الآخرين وهكذا نستنتج أن: «التفاعلية تقيم المهن كأشكال لتحقيق الذات» فكل مهنة أيا كانت يجب ان تدرس كعملية بيوغرافية تعبر عن الهوية ويرى هيوجز أن الفرد نفسه هو الانسب لوصف وتحليل مهنته.

- السيرورات الأربعة لتحديد المهن عند هيوجز وزملائه: ولقد حدد "هيوجز" أربع

سيرورات لتحديد المهن (لابد أن نأخذها بعين الاعتبار عند دراستنا لأي مهنة) وهي:

- "الجماعات المهنية هي عمليات تفاعلية تقود الأفراد ذات مهنة واحدة لتحقيق ذاتهم والدفاع عن إستقالاتهم وحدودهم والحماية من المنافسة.

- الحياة المهنية هي عملية بيوغرافية التي تبني الهويات المهنية وذلك من خلال مسار حياة الأفراد منذ دخولهم في المهنة إلى غاية التقاعد.

- العمليات البيوغرافية وميكانيزمات التفاعل هي في علاقة توافق التعبئة المتبادلة،
فديناميكية الجماعة المهنية تتوقف على المسارات البيوغرافية لأفرادها وهي نفسها
متأثرة بالتفاعل الموجود بينهم وبين المحيط.

الجماعات المهنية تبحث عن الاعتراف بها عن طريق شركائها مع تطوير أدبياتها
المهنية والبحث عن الحماية الشرعية لها"⁴

ويمكننا أن نشرح هذه السيرورات أكثر من خلال طلبة هيوجز الذين أصبحوا فيما بعد
زملاء وطوروا هذه المبادئ وتعمقوا فيها أكثر كما يلي:

أ السيرة الذاتية "البعد البيوغرافي الهوياتي" ان الحياة المهنية هي عملية بيوغرافية
التي تبني الهويات عبر مسار الحياة من البداية، أي منذ الدخول في المهنة الى
التقاعد. فالمهنة تسير الى ما لا نعلم، فالمهم فيها ليس وظيفتها الاجتماعية كما يفعل
الوظيفيون، بل تحقيق الذات وما تعنيه المهنة بالنسبة لنا، وهنا نستعمل طريقة " قصة
الحياة "أين يحكي لنا الممارس لمهنة ما قصة حياته التي نركز فيها على الجوانب
التي تعني له شيئا في حياته او تمثل حياته كلها، فالمهنة بهذا الشكل تدخل فيها
مغامرة لذلك الفرد فبذلك نقول اننا نجد عند كل واحد مهنة، يحقق فيها اما: نجاحا أو
نجاحا اقل من غيره او اخفاقا .. فهي سيرة ذاتية داخلية في سيرة حياة (مرتبطة بقصة
حياة) بمعنى جانب الذات الذي لا يمكننا معرفته الا من خلال من عاشه.

ب التفاعلات بين المهني وزملائه، وبينه وبين محيطه: ان ما سبق لا يكفي،
فالجانب الذاتي الذي لا يمكننا معرفته الا من خلال الشخص ذاته الذي يشكل هوية ذاتية
مرتبطة بكل حياة الفرد، هو في بداية حياته لم يكن كذلك، ولكن وقعت له عدة أشياء
حتى وصل الى هويته الحالية، ويجب كذلك ان نعرف التفاعلات بين المهني وزملائه
(كيف يتعامل معه؟)، بين المهني والمحيط العام، بين المهني والمؤسسات التي تضمن
له حركيته ووجوده، والجمع بين العنصرين يعطي أيضا تفاعل (كيف تتفاعل هويته
الذاتية مع اتصالاته بالآخرين، ثم كيف تنتج قصة حياته، وكيف تتفاعل مع محيطه).

⁴ Claude Dubard et Pierre Tripier ; Sociologie des professions ; Paris : Armand Colin ; 1998.,
p(95,96)

وعليه فالعمليات البيوغرافية وميكانيزمات التفاعل هي في علاقة توافق التعبئة المتبادلة وديناميكية جماعة مهنية تتوقف على المسارات البيوغرافية لأفرادها وهي نفسها متأثرة بالتفاعل الموجود بينهم وبين المحيط.

ج- الجماعات المهنية تبحث عن الاعتراف بها: وذلك عن طريق شركائها مع تطوير أدبيات مهنية، والبحث عن الحماية الشرعية .. البعض يستطيع ذلك عن طريق مواقفهم في التقسيم الأخلاقي للعمل وقدراتهم على التجمع، ولكن الكل يطمح للحصول على منصب يتمتع بالحماية

⊕ وحسب فريديسون فالمهنة (الهوية) لا تكون واضحة إلا إذا اعترف بها الجمهور (الآخرون) لأن بإمكانهم أن يخرجوا الفرد الذي يدعي احتكارها منها... وقد طور ذلك "شومبييه" حيث أدخل مفهوم "الرأي العام" على المهن بدلا من الجمهور.

⊖ إذا فكل نشاط يشتمل على هذه السيرورات هو مهنة.

و لكن ما هو المقصود بالرأي العام ؟

✓ **مفهوم الرأي العام :**

- **مفهوم الرأي العام:** يمثل الرأي العام عند ستوتزال "قوة اجتماعية ناتجة عن تطابق الأحكام الصادرة من عدة أفراد حول بعض المواضيع والتي تتمظهر حين تصبح واعية لذاتها" وحسب "G.Burdeau" يمكن قياسها بتقنية سبر الآراء ويعتبر ذلك بيار بورديو مثيرا للجدل⁵.

لا يمكننا تقديم مفهوم للرأي العام إلا إذا تطرقنا لمفهوم آخر يتداخل معه بشكل معقد وهو : الرأي الفردي فما هو الرأي الفردي؟

- **مفهوم الرأي الفردي:-** "عرف جان ستويتزل (1910-1987) Jean Stœtzel الرأي الفردي على أنه: قضية قابلة للاختلاف والتنوع والتي تنال التأييد الصريح في مرحلة ما.

- اما لارون ميشللي L- Mucchielli " فيعرفه على أنه: رأي يكشف ويعين موقفا كامنا مسبقا، إن قياس هذا الرأي الفردي يتوقف على بناء ترتيب سلمي للآراء التمثيلية لمختلف الاتجاهات الممكنة.

⁵ Gilles Ferreole et autres, Dictionnaire de sociologie, ed Armande Colin , Paris, p 175.

- نستطيع تعريف الرأي الفردي أيضا وإذا على أنه: الموقع داخل السلم الموضوعي المرتب للآراء وللتعبير الذي يسانده فرد ما مساندة تامة (J- Stœtzel) .

- إن الرأي الفردي تابع للوضعية التي يعبر فيها عن نفسه، فالرأي المعبر عنه أمام رئيس، ليس له نفس الرهان ولا يدخل في نفس الاستراتيجية التي ينتمي إليها رأي معبر عنه أمام زميل، والذي يعبر عنه في مناخ شخصي ليس كالذي يعبر عنه أمام جمهور⁶ **مفهوم الرأي العام:** -أما الرأي العام ليس المنتج البسيط لتجميع الآراء الفردية، فبالنسبة ل (J-Stœtzel) الرأي العام هو "مجموعة من الأحكام حول مشاكل حالية يحملها العديد من لأعضاء المجتمع- إن التواصل بين الآراء الفردية داخل المجتمع هو شرط ضروري لظهور الرأي العام.. فنحن لا نتحمل فقط فعل نظرة الآخرين كما هو معروف، ولكننا نتأثر بمجرد التفكير في نظرة الآخر وحكمه.

- من أجل هذا فالفكر العام للآخرين يتطلب ويستدعي حكمنا الخاص، فتفكير كل واحد منا يكون في نفس الوقت السبب والنتيجة لرأي الجميع".

لكنه يلاحظ أن عبارة الرأي العام هي من الكلام العادي ولا يمكن أن نجزم بأن لها ما يقابلها في الواقع ويمكن أن نحدد بنيته أو نرسم حدوده⁷.

وتوجد العديد من التعاريف للباحثين العرب وللباحثين في الغرب سنتطرق لأهمها: **-ألبيدج:** "الرأي العام ينتج عن تفاعل أفكار الافراد في أي شكل من أشكال الجماعة." **-دوب:** (Doob) مواقف الناس من قضية ما، عندما يكونون أعضاء لنفس الجماعة الاجتماعية."

-هاريمان: (Hariman) الرؤى او الاتجاهات التي تشترك فيها الغالبية العظمى من الأفراد، التي يمكن التوصل اليها عن طريق استطلاعات الراي العام باستخدام عينات ممثلة."

- كي: (V.Q.Keg) الرأي الذي يحتفظ به اشخاص لايشغلون مناصب عامة في الدولة، والذي ترى الحكومة انه من الحكمة الاهتمام به"⁸.

⁶ Alain Beitone et autres; Sciences sociales ;Ed Dalloz ; 2000, P (286-287).

⁷ Ibid , P (286-287).

⁸ ميلود سفاري وآخرون : الإشاعة والرأي العام ، قسنطينة: مؤسسة الزهراء ، 2003 ، ص (103). محمد شومان: إشكاليات قياس الرأي العام، مصر: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 1999، ص (22)

- جورج ليندبورغ (George Lundberg): أي رأي يستند الى سبب يجعل الجمهور يقبله والسلوك المعتاد يمكن ان يتضمن الرأي العام".⁹

- أحمد الخشاب: هو الفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة ازاء موقف من المواقف، أو تصرف من التصرفات أو مسألة من المسائل العامة التي تثير اهتمامهم، أو تتعلق بمصالحهم المشتركة .

- أحمد أبوزيد (1981): هو وجهة نظر أغلبية الجماعة الذي لا يفوقه أو يجابهه رأي، وذلك في وقت معين وازاء مسألة تعني الجماعة، وتدور حولها المناقشة صراحة أو ضمنا في إطار هذه الجماعة .

- مختار التهامي (1972): الرأي العام هو الرأي السائد بين أغلبية الشعب الواعي في فترة معينة بالنسبة لقضية أو أكثر يحتدم فيها الجدل والنقاش. وتمس مصالح هذه الاغلبية أو قيمها الانسانية مسا مباشرا.¹⁰

- جمال مجاهد (2004): "الرأي السائد بين جماعة من الناس، ازاء قضية أو مشكلة تمس مصالحهم أو قيمهم، تم التوصل اليه بعد نقاش وصراع للأراء والافكار الهدف منه الوصول الى من بيدهم القرار بشأن تأييد أو معارضة قرار ما".¹¹

- التعريف الإجرائي للرأي العام:

- في هذا السياق تتبنى الدراسة تعريفا للرأي العام يتفق إلى حد كبير مع مختار التهامي ومحمد شومان. فالرأي العام هو وعي أغلبية المواطنين في زمان ومكان محددين بقضية أو أكثر تكون موضع خلاف ونقاش عام وصراع لأنها تمس المصالح المادية والثقافية لهذه الأغلبية.

- وفي كل الأحوال فإن الرأي العام وفقا للتعريف الذي تتبناه الدراسة غير موجود دائما في الواقع، لكنه قد يتكون إذا توافرت مقوماته بغض النظر عن قدرة الأغلبية الواعية أن تعبر عن رأيها أو تلزم الحكومة بإتباعه، فقد تحول أجهزة الدول القمعية أو القوى الاجتماعية المسيطرة بينها وبين ذلك، كما قد لا تعكس استطلاعات الرأي دائما بحكم طبيعة المؤسسات التي تقوم بها والأدوات المستخدمة لقياس رأي هذه الأغلبية

⁹ محمد شومان: إشكاليات قياس الرأي العام، مصر: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 1999، ص (22).

¹⁰ ميلود سفاري و آخرون : مرجع سابق، ص (105).

¹¹ محمد شومان: مرجع سابق، ص (38).

الواعية، وبالتالي تصبح مجرد استطلاعات للرأي وليس الرأي العام، لكنها تدعي التعرف على الرأي العام وتحاول تزييفه.

-ومع ذلك فإن الرأي العام الحر قد يعبر عن نفسه مهما كانت طبيعة النظام السياسية وأساليب القهر التي تستخدمها الحكومات والقوى الاجتماعية المسيطرة، سواء من خلال الاستطلاعات للرأي العام أم ثورات تغير مجرى التاريخ كما حدث في الثورة الإيرانية عام 1978، وثورات شعوب أوروبا الشرقية ضد الحكومات الشيوعية أوآخر الثمانينات.

خلاصة القول هي:-الرأي العام ظاهرة اجتماعية ترتبط وجودا وعدما بمقومات وشروط وعي الأغلبية بقضية تمس مصالحها ويدور حولها جدل وخلاف ونقاش عام بغض النظر عما إذا اتاحت له فرص التعبير عن وجوده والتأثير في المجتمع¹².

-التساؤلات: من هم الفاعلون الاجتماعيون الأساسيون المساهمون في تحسين وعرقلة الإدارة الصفية داخل الوسط المدرسي الجزائري؟

• **الفرضيات المبدئية:** يمكن تحديد هؤلاء الفاعلين في:

أولاً: الدولة من خلال سنّها أو تعديلها لبعض القوانين التي تحسن أو تضبط وضعية المعلم والأولياء والتلاميذ على السواء.

ثانياً: المعلم ذاته من خلال تصوره الذاتي للدور الذي لا بد له أن يؤديه (هل يقتصر على مستوى التلاميذ، المدرسة، العائلة أم المجتمع؟)

ثالثاً: التلاميذ من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تجعلهم يأخذون صورة معينة عن المعلم والعلم وبالتالي المدرسة وذلك من خلال مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية المباشرة (العائلة، جماعة الأقران، المدرسة..) والغير مباشرة (وسائل الاعلام..)

رابعا: الاولياء من خلال:

أولاً: الصورة التي ينقلها الأولياء لأبنائهم عن المعلم فإن كانت ايجابية فسيستفاعل التلاميذ ايجابيا مع المعلم والعكس صحيح .

ثانياً: ما مدى تعاونهم مع المعلمين لتكوين التلميذ حيث لا بد أن يكون دور العائلة مكملًا لدور المدرسة .

✓ ما سبق يجعلنا نستطيع الاجابة على التساؤلات التالية:

¹²المرجع السابق ، ص(60:80).

- ما هو الدور الأساسي الذي ينتظره الآباء من المعلم كونه الفاعل الأساسي الأول المتحكم في عملية التعليم في المدرسة؟

-كيف يمكن للآباء خاصة والمجتمع عامة أن يساهموا في تحسين أو عرقلة عملية ما يعرف ب الإدارة الصفية في المدرسة؟

-الدراسة الميدانية: وللإجابة على هذه الأسئلة قمنا بإجراء مقابلات مع أولياء التلاميذ والمعلمين في مدرسة ابتدائية تدعى "جبار مصباح" في مدينة "عين البيضاء" الواقعة في ولاية أم البواقي.

الفاعل الأول المشارك في التدريس الفعال: الدولة في هذه النقطة البالغة الأهمية اتجهنا الى الفاعلين الاجتماعيين الذين نعتقد انهم يمثلون الرأي العام والذي يمكنهم أن يزودونا بأكبر قدر من المعلومات حول كيف ساهمت الدولة في تحسين أو عرقلة التدريس الفعال وما يصاحبه من تسيير التلاميذ داخل القسم أو خارجه (في الفناء مثلا)، وذلك من خلال الاسئلة التي طرحت على كل من الأولياء والمعلمين (الذين غالبا ما يحملون هوية ازدواجية بين المعلم والولي) على حد سواء.

وقد قمنا بإجراء مقابلة مع 10 معلمين وقد عمدنا الى اختيار هذه المدرسة كونها تحوي على معلمين من مختلف الفئات العمرية وذلك حتى نرى نظرة المعلم لذاته في السابق وفي وقتنا الحالي وكيف تتعامل هذين الفئتين داخل حقل التعليم هل تتصارع أم تتناظر من أجل اثبات وجودها ودورها المهم في المجتمع. فتنمية الميول والاتجاهات الايجابية نحو العلوم تعتبر من الأهداف الأساسية لتعليم العلوم، فالطالب الذي لديه ميل واتجاه نحو العلوم سوف يقوم بدراسة المادة العلمية بشغف في المدرسة كما سوف يزيد من معلوماته عنها حتى وخارج المدرسة، فبالإضافة إلى ذلك فإن تنمية الميول والاتجاهات شرط اساسي للنهوض بالمجتمع. وتزداد أهمية هذا الميول في برامج إعداد المعلمين، فإذا نمت هذه الميول لدى المعلمين فسوف ينعكس ذلك على آدائهم في تدريس المادة إذ سيتم هذا التدريس بحماس واهتمام وهما من العناصر المهمة للتدريس الفعال.

كما سوف يتلقى التلاميذ هذه الجوانب من معلمهم مما سيؤدي إلى تنمية اتجاهاتهم وميولاتهم الإيجابية لهذا الفرع من المعرفة، فبالإضافة إلى ذلك فإنه من المتوقع من

المعلمين الذين لديهم حماس وإرادة نحو العلوم أن يقوموا بتنمية معارفهم العلمية وبالتالي سوف يزدون من فعاليتهم في التدريس .¹³

ويمكن أن نقول أنّ النظام الأساسي يمارس تأثيرا على المعلمين خاصة الذين تكونوا في إطاره، في نفس الوقت يمارسون مهنتهم في إطاره كذلك وحتى "الإطار العائلي فهو منفصل تماما عن الإطار المدرسي وأنه قادر على تقوية دور المعلم حيث أنّ العائلة تستطيع أن تقدم الشروط المادية والنفسية للمعلم والتلاميذ ليساهم في النشاط المدرسي".¹⁴ ويمكننا تحليل أسئلة المقابلة حسب الأسئلة التي طرحت كما يلي :

1* قيمّ وضعية التعليم في وقتنا الحالي في الجزائر مع التعليل :

الوضعية/السبب	المجموع	
	ك	ن
تحسّن	1	9%
تدهور	10	91%
بقي كما هو	0	0%
المجموع	11	100%

من خلال الجدول نلاحظ أنّ معظم أفراد العينة يعتقدون أنّ وضعية التعليم في وقتنا الحالي قد تدهورت وذلك بنسبة (91%) في حين لا نجد سوى 9% منهم يعتقدون أن وضعية التعليم في بلادنا تحسنت ولا نجد أي من المبحوثين يعتقدون أنّ التعليم بقي كما هو .

الوضعية/السبب	الدولة		المعلم		الأولياء		التلاميذ		المجموع	
	ك	ن	ك	ن	ك	ن	ك	ن	ك	ن
تحسّن	0	0%	1	100%	0	0%	0	0%	1	100%
تدهور	6	60%	3	30%	1	10%	0	0%	10	100%
المجموع	6	55%	4	36%	1	9%	0	0%	11	100%

لقد رأينا في الجدول السابق أنّ معظم أفراد العينة يعتقدون أنّ وضعية التعليم في الجزائر قد تدهورت، والجدول الذي هو بين أيدينا يعطي لنا التعليل لذلك، فنجد

¹³ المجلة العربية للتربية ، مجلة نصف سنوية ، ديسمبر ، العدد الأول ، سنة 1992 ، ص 3 .

¹⁴ Mustapha Haddab . » Les moniteurs de l'enseignement élémentaire en Algérie « .Actes de la recherche en sciences sociales . Revue bimestrielle .Nouvembre.1979.Boulevard.Raspian.Paris.N 30.P 24.

60% من هؤلاء المبحوثين يعتقدون ان السبب في ذلك راجع إلى الدولة، ثم المعلم بنسبة 30% يليه الأولياء وذلك بنسبة 10% في حين لا نجد أي من المبحوثين يرجع السبب في تراجع وضعية التعليم إلى التلميذ، أما المبحوثين الذين يرون أنّ وضعية التعليم تحسنت فيعتبرون أنّ السبب الوحيد هو المعلم.

2* ما هي الاجراءات التي ترى أنها ضرورية جدا لتحسين وضعية التعليم في الجزائر ولكنها مغيبة تماما من قبل الدولة؟

الامور المغيبة من الدولة	ك	ن
تشديد المراقبة على معلمي الدروس الخصوصية	6	15%
القيام بدورات تدريبية وتكوينية لزيادة كفاءة المعلم	5	13%
اعادة النظر في النظام التربوي الجديد وبرامجه الغربية الغير متماشية مع خصوصيات التلميذ الجزائري	10	26%
التقليل من عدد التلاميذ داخل القسم الواحد لصعوبة التحكم فيهم اذ يتجاوز 40 تلميذ في القسم الواحد	9	23%
ايجاد حل لمشكلة بطالة خريجي الجامعات	9	23%
المجموع	39	100%

من خلال الجدول أعلاه وجدنا أنّ الاجراءات التي يرى المبحوثين أنها ضرورية جدا لتحسين وضعية التعليم في الجزائر ولكنها مغيبة تماما من قبل الدولة تتمثل فيما يلي بالترتيب:

1- اعادة النظر في النظام التربوي الجديد وبرامجه الغربية الغير متماشية مع خصوصيات التلميذ الجزائري بنسبة 26%

2- التقليل من عدد التلاميذ داخل القسم الواحد لصعوبة التحكم فيهم اذ يتجاوز 40 تلميذ في القسم الواحد بنسبة 23%

3- ايجاد حل لمشكلة بطالة خريجي الجامعات بنسبة 23%

4- تشديد المراقبة على معلمي الدروس الخصوصية بنسبة 15%

5- القيام بدورات تدريبية وتكوينية لزيادة كفاءة المعلم بنسبة 13%

3* ما هي الاجراءات التي ترى أنها ضرورية جدا لتحسين وضعية التعليم في الجزائر ولكنها مغيبة تماما من قبل الأولياء ؟

الامور المغيبة من الاولياء	ك	ن
----------------------------	---	---

22%	8	تطبيع الابناء على احترام المعلم
14%	5	اعطاء قيمة للمعلم الذي أصبح مهمشا جدا في مجتمعنا خاصة من قبل الاولياء
31%	11	زيارة الاولياء للمدرسة ومتابعتهم لابنائهم يسهل الكثير للمعلم في القيام بتدريس فعال
19%	7	تحفيز ومساعدة الأولياء لأبنائهم لمراجعة دروسهم التي لم يتمكن من استيعابها من قبل المعلم
14%	5	التخلص من عادة "الدروس الخصوصية" التي أصبحت رائجة في مجتمعنا
100%	36	المجموع

من خلال الجدول أعلاه وجدنا أنّ الاجراءات التي يرى المبحوثين أنها ضرورية جدا لتحسين وضعية التعليم في الجزائر ولكنها مغيبة تماما من قبل الأولياء تتمثل فيما يلي بالترتيب:

1-زيارة الاولياء للمدرسة ومتابعتهم لابنائهم يسهل الكثير للمعلم في القيام بتدريس فعال 31%

2-تطبيع الابناء على احترام المعلم 22%

3-تحفيز ومساعدة الأولياء لأبنائهم لمراجعة دروسهم التي لم يتمكن من استيعابها من قبل المعلم 19%

4-التخلص من عادة "الدروس الخصوصية" التي أصبحت رائجة في مجتمعنا 14%

5-اعطاء قيمة للمعلم الذي أصبح مهمشا جدا في مجتمعنا خاصة من قبل الاولياء 14%

4* ما هي الاجراءات التي ترى أنها ضرورية جدا لتحسين وضعية التعليم في الجزائر ولكنها مغيبة تماما من قبل المعلم ذاته ؟

ك	ن	الامور المغيبة من المعلم
5	21%	تطوير الكفاءات الشخصية للمعلم خاصة في فني التحفيز والاتصال مع التلاميذ
9	38%	الالتزام بأخلاقيات المهنة وعدم جعلها تجارة كما يفعل معظم فيما يخص الدروس الخصوصية
10	42%	لا بد من المعلمين ان يقوموا باضراب شامل ليس لزيادة الاجر بل لتحسين رصيد التلميذ المعرفي بعدة طرق

من خلال الجدول أعلاه وجدنا أنّ الإجراءات التي يرى المبحوثين أنها ضرورية جدا لتحسين وضعية التعليم في الجزائر ولكنها مغيبة تماما من قبل المعلمين تتمثل فيما يلي بالترتيب:

1- لا بد من المعلمين ان يقوموا بإضراب شامل ليس لزيادة الاجر بل لتحسين رصيد التلميذ المعرفي بعدة طرق بنسبة 42% .

2- الالتزام بأخلاقيات المهنة وعدم جعلها تجارة كما يفعل معظم فيما يخص الدروس الخصوصية بنسبة 38% .

3- تطوير الكفاءات الشخصية للمعلم خاصة في فني التحفيز والاتصال مع التلاميذ بنسبة 21% . 6* من هو المعلم الناجح في نظرك ؟

المعلم الناجح هو الذي :	ك	ن
يعلم	6	30%
يربي	4	20%
يربي ويعلم التلميذ	10	50%
المجموع	20	100%

من خلال الجدول السابق نجد أنّ المبحوثين يعتقدون أنّ المعلم الناجح هو الذي يجمع بين دورين أساسيين هما: التربية والتعليم وذلك بنسبة 50%، في حين نجد 30% من المبحوثين يرون أنّ المعلم الناجح هو الذي يقتصر دوره في الأساس على التعليم، أمّا 20% من أفراد العينة يرون أنّ المعلم الناجح هو الذي يربي التلاميذ أولا قبل تعليمه.

• **نتائج الدراسة:** في الأخير يمكن أن نستنتج أنّ كل المهن محتاجة إلى تجديد مستمر لدورها الاجتماعي حتى تضمن بقائها وبنائها باستمرار وفقا لمتطلبات ومقتضيات المجتمع الذي تتواجد فيه فمهنة المعلم في الجزائر هي مهنة تبنى ويعاد بنائها باستمرار، ولا يمكن أن نجمّد دورها في الوظيفة الأكاديمية الموكلة لها من الدولة أو نجعل من المعلم هو الفاعل الوحيد في تطوير هذه المهنة لأنّ ذلك يجعلنا نجهل الأسباب الحقيقية الكامنة وراء تحسّن او تدهور وضعية التعليم بشكل عام في الجزائر .. ولقد توصلنا إلى أنّه لا يمكن ان نحصر عملية التدريس الفعال في "المعلم" و"التلميذ" أو أعضاء المدرسة فقط بل تتجاوز ذلك بكثير إذ تضم بالإضافة للمعلمين

والتلاميذ كلا من الدولة والأولياء وذلك من خلال ما يعطيه كل واحد من هؤلاء الفاعلين في بناء الهوية الاجتماعية للمعلم وذلك من خلال ما يلي:

مساهمة الدولة والاولياء في التدريس الفعال: لا يخفى عَنَّا كباحثين اولاً وكأفراد ننتمي إلى المجتمع الجزائري ونحمل ثقافته ثانياً عن المشاكل المتعددة التي يعاني منها الطلبة الجزائريين بعد التخرج من جزاء ما يعرف بـ "شبح البطالة" الذي أصبح يهدد المتعلم والغير متعلم على السواء بل وقد أصبح الغير متعلمين اكثر حظاً في الحصول على عمل سواء كان حر او غير ذلك من المتحصل على شهادات من الجامعات المختلفة ... وبما انّ هذا الطالب هو فرد في أسرة ما ومجتمع واحد فإن أفراد عائلته أولاً وأقرانه ثانياً وأقربائه ثالثاً يجعلونه جماعة مرجعية لأبنائهم سواء كانوا في الطور الاول من التعليم أو أكثر من ذلك .. لذلك نجد المعظم من الأولياء إذا ما لم ينجح أحد ابنائهم *الذي لا زال في المرحلة الابتدائية من دراسته*، لا يبدون في أغلب الأحيان ردة فعل صاخبة ولا يجدون سوى القول كما عبّرَ عليه احدى المبحوثات (أم لأحد التلاميذ) "إليّ قراو واش داروا راهم حاكمين لحيط"، من هنا يعطي الاولياء هوية سلبية للمدرسة التي يمثلها المعلم بالدرجة الاولى.. فتقتل تحفيز ابنها للدراسة بدلا من تشجيعه عليها والسبب الاول في ذلك فنجدها غيببت امورا كثيرة في غاية الاهمية ويمكنها ان تحسّن في تغيير صورة التعليم عند التلاميذ والاولياء على السواء وهي :

*زيارة الاولياء للمدرسة ومتابعتهم لابنائهم يسهل الكثير للمعلم في القيام بتدريس فعال.
*تطبيع الابناء على احترام المعلم.

*تحفيز ومساعدة الأولياء لأبنائهم لمراجعة دروسهم التي لم يتمكن من استيعابها من قبل المعلم .

*التخلص من عادة "الدروس الخصوصية" التي أصبحت رائجة في مجتمعنا .
*اعطاء قيمة للمعلم الذي اصبح مهمشا جدا في مجتمعنا خاصة من قبل الاولياء .
*تنشئة الابناء على حب العلم واحترام المعلم ولا يمكن ان ينتج ذلك من الاولياء او المعلمين فقط بل ومن الدولة ايضا من خلال القيام ببعض الحملات الاعلامية التحسيسية بذلك .

مساهمة المعلم في التدريس الفعّال: من خلال ما سبق توصلنا الى ان مساهمة المعلم في التدريس الفعّال يمكن ان تكون فيما يلي: *اعادة النظر في النظام التربوي الجديد وبرامجه الغربية الغير متماشية مع خصوصيات التلميذ الجزائري.

* القيام بدورات تدريبية وتكوينية لزيادة كفاءة المعلم .

*التقليل من عدد التلاميذ داخل القسم الواحد لصعوبة التحكم فيهم اذ يتجاوز 40 تلميذ في القسم الواحد وهذا ما يؤدي الى صعوبة تسيير المعلم للتلاميذ داخل القسم، كما تقل قدرة التلميذ على الاستيعاب .

*تشديد المراقبة على معلمي الدروس الخصوصية حيث اصبح معظم المعلمين لا يجهدون انفسهم في القسم لاجل تلقين اكبر قدر من المعارف للتلميذ بل بالعكس، ففي احدى المقابلات صرحت احدى الملمات (42 سنة) بأن مهنة التعليم أصبحت "تجارة لمن لا يخافون الله" هناك من زملائنا من لا يعيرون انفسهم في التدريس داخل القسم بل يفرضون في احيان كثيرة على التلاميذ ان يقوموا بدروس خصوصية بحجة "عدم كفاية الوقت لاتمام البرنامج وكبر عدد التلاميذ في القسم الواحد" .

واخيرا يمكننا القول انّ التدريس الفعّال هو ظاهرة اجتماعية في المقام الاول تتحكم فيها عدة عوامل اجتماعية لعل اهمها:

-ثقافة الجزائري (المعلم. الاولياء. التلاميذ وحتى الدولة) حول التعليم تفترض ان يتعلم الفرد ليس لاجل تهيئته اجتماعيا للحياة بل لتجد له الدولة (التي تنتج اطرار ولا تعلم لماذا تنتجهم ولا ما هو مستقبلهم المنشود) عملا يناسب تخصصه، واذا لم يجد المهنة التي تناسبه تبدأ بذور بناء هوية اجتماعية سلبية عن المعلم والتعليم.

-غياب تخطيط دقيق عن البرامج التربوية الحالية وما الهدف منها وتوعية الافراد بهذه الاهداف *ان وجدت* .

-غياب الترابط والالتحام بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي يؤكد علماء الاجتماع على أنّ " الأسرة " والمدرسة" هي في مقدمتها، فلا نجد علاقة تربط المعلم بالولي إلا اسم ولقب التلميذ.

لذلك لا بد من اعادة النظر في هذه المسألة ولا بد من تعاون كل المؤسسات التي تدخل في عملية التدريس الفعال بشكل مباشر أو غير مباشر ولا يمكن ذلك إلا من

خلال "الدولة" المنسق الأول الرسمي والمباشر للمجتمع وذلك من خلال علمائها التي أنتجتهم منظومتها التربوية ؟؟؟؟

قائمة المراجع :

- 1- احسان محمد الحسن، "علم اجتماع المرأة: دراسة تحليلية عن دور المرأة في المجتمع المعاصر"، الاردن: دار وائل للنشر، ط1، 2008 .
- 2- ايميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة: بوزيدة عبد الرحمان، الجزائر: موقم للنشر، سلسلة العلوم الانسانية ، 1990.
- 3- المجلة العربية للتربية، مجلة نصف سنوية ، ديسمبر، العدد الأول ، سنة 1992 .
- 4- محمد شومان: إشكاليات قياس الرأي العام، مصر: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 1999 .
- 5- ميلود سفاري وآخرون: الإشاعة والرأي العام، قسنطينة: مؤسسة الزهراء، 2003، ص (103).
- 6- محمد شومان: إشكاليات قياس الرأي العام، مصر: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 1999.
- 7- <http://www.thgaftna.com>
- 8- Gilles Ferreole et autres, Dictionnaire de sociologie, ed Armande Colin , Paris.
- 9- Claude Dubard et Pierre Tripier; Sociologie des professions; Paris: Armand Colin; 1998.
- 10- Alain Beitone et autres; Sciences sociales ;Ed Dalloz ; 2000
- 11- Mustapha Haddab ; Les moniteurs de l'enseignement élémentaire en Algerie .Actes de la recherche en sciences sociales . Revue bimestrielle .Nouvembre.1979.Boulevard.Raspian.Paris.